مجلة المعيار ISSN :1112-4377
مجلد:24 عدد: 51 السنة: 2020

قراءة في تطوّر اللّاهوت المسيحي
من خلال فكر - كلمنت الإسكندري (150/220م)-

A reading in the development of the Christian theology through the thought of--Clement of Alexandria (150/220 AD)-

فيروز بيبي[1]
firouz.bibi.religions@gmail.com
جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلاميّة
د. بشير كردوسي
جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلاميّة

تاريخ الوصول :2019/08/31 القبول: 2020/04/09 /النشر على الخط: 2020/06/15
Received: 31/08/2019 / Accepted: 09/04/2020 / Published online : 15/06/2020

ملخّص:

تشتغل هذه الورقة البحثية على تتبع مسار تطور اللاهوت المسيحي خلال الفترة التأسيسية، وتحديدا في كتابات آباء الكنيسة الأوائل الذين أسهموا إلى حد كبير في تحديد وضبط إطاره المفاهيمي والمنهجي. كما تعدّ محاولة لاستكشاف مختلف المعارف العلمية والفلسفية التي أثرت في بنية الخطاب اللاهوتي خلال القرون الخمسة الأولى للميلاد؛ خاصة في فكر كلمنت الإسكندري كونه من أبرز المفكرين اللاهوتيين الذين ساهموا في تطور اللاهوت المسيحي، ولاسيما في شرح دلالة الكثير من مصطلحاته اللاهوتية. كما سيتم التركيز على طريقة استخدامه لنظرية اللوغوس التي استقاها من أفلاطون وفيلو، ومحاولته صياغة اللاهوت المسيحي وفق نسق فلسفي قائم على العلاقة التوفيقية بين الدين والفلسفة.

الكلمات المفتاحية: اللاهوت المسيحي، كلمنت، الفلسفة، اللوغوس، المعرفة، الإيمان، الكتاب المقدس.

Abstract:

This paper studies the development of the Christian Theology, during its founding period, and precisely in the writings of the Early Fathers of the Church, who participated greatly in the defining of its conceptual and systematic frame. This study aims also to discover the different scientific and philosophic knowledge, which influenced the Theological speech in the first five centuries AD. Especially, in the thoughts of Clement of Alexandria, as he can be considered one of the most influential theologians, who helped in the development of the Christian Theology. Especially, in the explanation of many Theological terms. In this paper, I will concentrate on his way of use the Logos theory, which he took from Plato and Philo, and his trial to define the Christian Theology, according to a philosophical pattern, depending on the relation between Religion and Philosophy.

Key words: Christian Theology, Clement (of Alexandria), Philosophy, Logos, Knowledge, Faith, Scriptures

[1]- المؤلف المرسل: فيروز بيبي ، البريد الإلكتروني: **firouz.bibi.religions@gmail.com**

مقدّمة:

لقد كانت البدايات الأولى للديانة المسيحية حافلة بأحداث تاريخية أسهمت بشكل واضح في تحديد ملامحها العقدية والفكرية؛ خاصة بعدما تم قبول الوثنيين كأتباع للمسيح من طرف الرسول بولس، الأمر الذي أنتج صداما بين المسيحية وواقعها الجديد الذي غلبت عليه الثقافة اليونانية والطابع الفلسفي، من هنا كان لزاما عليها أن تجد أرضية جامعة تشرح فيها تعاليمها بلغة مفهومة ووفقا لآليات مقنعة تتماشى مع دينامية العقل الفلسفي النقدي اليوناني. وهذا ما جبر المسيحيين إلى إيجاد مسوغات لاهوتية_عقلانية في مجابهة مد المنطق الإغريقي وحججه الفلسفية والميثولوجية. وهنا جاء دور مدرسة الإسكندرية اللاهوتية التي مثلت عقل العالم المسيحي خلال القرون الخمسة الأولى، وبالتالي دفعت عجلة الدعوة بقوة لدراسة الفلسفة والآداب اليونانية إذا ما أريد للمسيحية أن تغزو عقول الأمميين. ووفقا لهذا السياق برزت كاتجاه داع للمزج بين الفلسفة والدين، كما أسهمت في تخريج مفكرين كانوا أعلاما للفكر الانتقائي التوفيقي. وأبرزهم كلمنت الاسكندري الذي عرف بين دارسي التاريخ الكنسي المسيحي بأنه أول من حاول وضع نظام متكامل للاهوت المسيحي ومن بين أهم المفكرين الذين ساهموا في تطوره. ومن كل ما سبق من تداعيات تأتي هذه الدراسة لمحاولة الكشف عن مدى إسهام الآراء اللاهوتية لكلمنت في رسم خارطة الطريق التي وفقها تطور اللاهوت المسيحي خلال الفترة التأسيسية؟ وعن أهم الآليات التي اعتمدها في صياغة نظرياته اللاهوتية؛ خاصة نظريته حول اللوغوس؟

قبل الخوض في موضوعنا الرئيسي تقتضي علينا المنهجية العلمية أن نقوم بتأصيل مفهوم اللاهوت وتتبع مسار تطوره التاريخي.

1- تأصيل مفاهيمي وتاريخي لمصطلح اللاهوت:

بداية يمكن تعريف « اللاهوت » Theology بإيجاز على أنه؛ العلم الذي يتعامل وفقا للأسلوب العلمي مع الحقائق والظواهر الدينية، ويبلغ ذروته في دراسة شاملة أو فلسفة دينية، تسعى إلى أن تحدد بطريقة منهجية كل ما يمكن أن يكون معروفا فيما يتعلق بالأسباب الموضوعية للاعتقاد الديني. ووفقا لمعناه اللغوي، فإن كلمة «اللاهوت» تشير إلى «الحوار أو العقيدة فيما يتعلق بالله»[1].

ويرتكز جلّ الاهتمام للوصول إلى معنى دقيق لمصطلح «اللاهوت»، وذلك لا يتأتى إلا بالرجوع إلى الأصل التاريخي لاستعمالاته؛ إذ أنه نشأ قبل المسيحية، وفي فضاء ثقافي غير الفضاء المسيحي، كما أنّه لا توجد له أيّ إشارة في الكتاب المقدس.« انطلاقا من ذلك فقد تم استخدام هذا المصطلح ولأول مرة بين الاغريق لوصف أعمال الشعراء أمثال: هوميروس Homer وهيسيود Hesiod عندما كتبوا عن الآلهة وأعمالهم، وفلاسفة مثل: أفلاطون Plato وأرسطو Aristotle حين

[1] -James Hastings: Encyclopedia of Religion and Ethics (New York, Charles's sons, 1921) Vol.12 p. 29

تكهنوا بالواقع أو الأساس الأسمى لكلّ الأشياء[1]». بناء على ذلك نجد أن أفلاطون Plato أيضا قد استخدم عبارة «اللاهوتيات» لدلالة على مجموع الأساطير والقصص الديني التي يخضعها العقل للحكم الفلسفي النقدي[2]، ولعلّ الفضل في استخلاص مبادئ سامية حول مفهوم الله والكون من الأساطير يعود له، ذلك أنه قد قدّم فكرا متكاملا قائما على البحث العقلي، ضمن الإطار الفلسفي الدقيق[3]، ومع أنه قد يكون أول من استخدم هذا المصطلح. إلا أنه قد وجه له نقدا لاذعا وطعن فيه، لأن دلالات اللاهوت قريبة من معنى الميثولوجيا، ومع ذلك فإنّ أهم شعراء اليونان أمثال "هوميروس" وغيره قد استعملوا هذا المصطلح كاصطلاح ديني محترم[4].

ومصطلح اللاهوت عند أرسطو Aristotle هو عبارة عن تعبير لمرحلة سابقة لمراحل التفكير الفيزيائي للفلاسفة الذين جاؤوا قبل سقراط Socrates، ذلك أن أساطيرهم لم تعن بالبحث عن الطبيعة، واكتشاف أسرارها، ولكن عرض لهم أن تكلّموا في أشياء مسّت من قريب ظواهر طبيعية، لكنها تبقى دائما محسوبة في عداد الأسطورة[5]. ومع ذلك يجب الإنصاف في حق اللاهوت كتعبير ثقافي إنساني، ذلك أنّ أرسطو Aristotle نفسه لا ينكر ما لبعض المعتقدات الأسطورية التي يختص بها اللاهوت من قوة على إقناع الناس على فعل الأصلح والالتزام بالعادات والأعراف، ولكن على الرغم من هذا الاحترام المحتشم إلا أنه لا يمكن إدماج هذا القصص اللاهوتي الأسطوري في حقل التقسيم العلمي للطبيعة وللكون بصفة عامة.[6] والجدير بالذكر أنّ الفلاسفة اليونانيين لم يسمّوا أنفسهم لاهوتيين، رغم التماهي القائم في فكرهم بين الفلسفة واللاهوت[7]. ومما سبق يتضح أن مصطلح «اللاهوت» عند اليونانيين قد ارتبطت استعمالاته بالمفاهيم الوثنية عن الألوهة من أساطير وسحر جاعلة من العالم مسرحا لقوى إلهية تدبّر أمورها بحسب تدبير الإنسان لأغراضه وأهوائه، وهذا ما جعل كبار الفلاسفة أمثال أفلاطون وأرسطو يمتنعون عن استعماله.

إلى جانب هذا التأصيل، هناك رأي آخر يرجع أصل مصطلح «اللاهوت» إلى الجذر السرياني «لاهوثا» ، وهو ما ذهب إليه "جورج حبيب بباوي" الذي أراد أن يؤكد على انتماء هذا المصطلح إلى التراث المسيحي السامي "Semitic" أو الشرقي، دون أن ينكر استخدامه أيضا من طرف اليونانيين قبل المسيحية، لكن مع التأكيد على الفرق الشاسع في استخدام

---

[1] -James Hastings: Encyclopedia of Religion and Ethics, p. 293

[2]– مشير باسل عون: الفكر العربي الديني المسيحي، ط1(دار الطليعة، بيروت–لبنان، 2007) ص 25.

[3]– جورج حبيب بباوي: المدخل إلى اللاهوت الأرثوذكسي د ط (د د ن، 2012) ص 36.

[4]– حسن محمود الشافعي: المدخل إلى دراسة علم الكلام، ط2 (إدارة القرآن والعلوم الإسلامية، باكستان، 1422هـ/2001م) ص 246.

[5]– محمد مزوغي: اللاهوت الأرسطي "حقيقة أم وهم"، د ط (دراسات وأبحاث، د س ن) ص 23.

[6]– المرجع نفسه.

[7]– مشير باسيل عون: الفكر العربي الديني المسيحي، المرجع السابق، ص 25.

المصطلح بين آباء الكنيسة وفلاسفة اليونان، ففي الوثنية تعني الكلمة كل حديث عن الكون وشؤون الحياة في إطار الأساطير والخرافات، في حين أنها في المسيحية تدلّ على الإعلان عن الله الذي يقدّمه الله نفسه[1].

إذا رجعنا إلى استعمالات هذا المصطلح عند المسيحيين فإننا سنجد أنّ آباء الكنيسة الرسوليين لم يستعملوه في الأول، إلا أنّ ضرورات تبليغ البشرى الإنجيلية في العالم الروماني دفعتهم إلى تطوير صياغة مضامين الإيمان المسيحي عن طريق استخدام مقولات الفلسفة اليونانية السائدة في ذلك العصر وتحميلها أبعاد الحقيقة الإنجيلية[2]. وهذا ما يجعل مصطلح «اللاهوت» مصطلحا دخيلا على الفكر المسيحي، ذلك أنّ الحاجة هي التي جعلت المسيحيين يستعيرونه من التراث اليوناني الفلسفي لشرح المقولات اللاهوتية المسيحية بلغة مفهومة في ذلك العصر.

ابتداءً من القرن الثالث للميلاد أخذ المصطلح بالتدريج، وبفحوى جديد، يحتل مكانا بارزا في علم الاصطلاحات اللاهوتية المسيحية[3]، ولعل أوّل استعمال له عند المسيحيين كان في كتابات أوريجن Origen، وبعدها اشتهر فظهر في مؤلفات يوسابيوس القيصري Eusebius of Caesarea الذي فرّق بين الثيولوجيا Theology أي الكلام حول الحياة الداخلية للإله، والإيكونوميا Economy المختص بدراسة أفعال الله التي يقوم بها لنجاتنا، ويشمل المسيح، والكنيسة، والقرابين المقدسة والأخرويات[4]. ومن هنا كان اللاهوت عند المسيحيين يتمثل في كيفية التعبير بلغة بشرية وثقافة بشرية معيّنة عن تجلّي الله تجلّيا كاملا ونهائيا في شخص يسوع المسيح كلمة الله، هذا التجلي الذي فيه انكشف للناس في آن واحد سرّ الله وسرّ الإنسان. واللاهوت وفق هذا التعبير، لا يهدف إلى المعرفة في سبيل المعرفة، بل يهدف إلى استخدام المعرفة للوصول إلى خلاص الإنسان ومنحه الحياة الإلهية [5].

اللاهوت في نظر المسيحيين إذن؛ هو منحه أساسية لازمة لسعادة الإنسان، ويصبح تبعا لذلك كلّ من يتجنّبه يقتل غاية الله من خلق الإنسان، أو لا يعترف بها، فغاية المعرفة اللاهوتية هي الوصول إلى الله، أي تحقيق الوصول إلى حياة إنسانية حقيقية[6]، وهذه الهبة قد منحت للإنسان عندما خلق، وعندما تكونت في نفسه بذور المعرفة الإلهية التي جعلته قادرا على إدراك ذاته، ثم التطلع الدائم إلى الأصل الذي تكوّن على صورته، وتبعا لذلك يصبح قادرا على إدراك وفهم كنه الله، لأنّ غاية خلق الإنسان هي معرفة الله[7].

---

[1]- جورج حبيب بباوي: المدخل إلى اللاهوت الأرثوذكسي، المرجع السابق، ص 36.

[2]- مشير باسيل عون: الفكر العربي الديني المسيحي، المرجع السابق، ص 26.

[3]- جورج عطية: اللاهوت العقائدي والمقارن، د ط (الشبكة الأرثذوكسية العربية الأنطاكية، 2003) ص 07.

[4]- حسن محمود الشافعي: المدخل إلى دراسة علم الكلام، المرجع السابق، ص ص 259-260.

[5]- كيرلس سليم بسترس: مقالات في اللاهوت والحركة المسكونية المقالة 12 (منشورات المكتبة البولسية، 1997م) ص 03.

[6]- جورج حبيب بباوي: المدخل إلى اللاهوت الأرثوذكسي، المرجع السابق، ص 54.

[7]- المرجع نفسه، ص 67.

ينبغي التأكيد أيضا على أنّ اللاهوت في الفكر المسيحي ينبني على إعمال الفكر الإيماني في مضامين الكشف الإلهي المبثوثة في تضاعيف الكتاب المقدس[1]، وهذا ما يجعله يظهر تعاليم الكتاب المقدس بنظامها وعلاقاتها الداخلية الروحية، وما يجعله تعليم الله فيما لله[2]. وهذا ربما ما دفع علماء اللاهوت يميلون إلى التساؤل ضمن «دائرة الإيمان»؛ حيث يقبلون العقائد الأساسية للدين الذي ينتمون إليه دون أن ينتقدوها، محاولين التفكير في المعاني والمضامين الكلية[3]. وهو ما دفع أثناسيوس الرسولي Athanasius the Apostolic إلى «أن يصر دائما على أن إطاعة الإيمان تؤدي إلى أسلوب شرعي في التفكير والتحدّث عن الله، وذلك بفضل الاتزان الداخلي الذي يتولّد نتيجة عبادة الله. ففي كل محاولة للفهم وإعطاء تعبير عن أسرار الإيمان، يكون المطلوب هو انضباط خشوعي وترتيب للعقل وصل إلى حالة الانسجام، بواسطة صلاة دائمة لله، ومعرفة تتّسم بالتقوى، وتضرّعات مقدمة ليس بشكل عرضي، ولكن بتسليم كامل للقلب. هكذا يمكن أن يكون الدخول إلى الله»[4].

إن اللاهوت ينطلق أيضا من شهادة التقليد الكنسي ويبقى مرتبطا به، ولكن هذا التقليد يحدده واقع أنه يرمي إلى ما هو أبعد من ذاته، إلى حقيقة الله التي هي دائما الأسمى. ولذلك فموضوع اللاهوت الصحيح ليس إيمان الكنيسة، بل حقيقة كشف الله ذاته المؤكد بشهادات إيمان الكنيسة، وهذه العلاقة وحدها هي التي تجعل اللاهوت كلاما في الله[5].

وفي الأدب المسيحي المبكر تم إطلاق تسمية «اللاهوتي» على مؤلف سفر الرؤيا، ربما لأنه حافظ على ألوهية الكلمة، توكيدا على هويتها التي تجسدت في المسيح مع الله. ومن هذا المنطلق، تم تطبيق هذا المصطلح أيضا على الآباء اليونانيين مثل أثناسيوس Athanasius وغريغوري النزيانزي Gregory of Nyssa، الذين تميزوا بالدفاع عن شخصية المسيح وألوهيته[6].

مما ذكر آنفا؛ يمكن القول أن اللاهوت عند المسيحيين هو المعرفة التي يعبر بها عن تجلي الله في يسوع المسيح ومن خلالها يصل الانسان للخلاص وبذلك تتم شركته مع الله، لكن بشريطة الإيمان بيسوع المسيح، إضافة إلى إعمال الفكر في قراءة النصوص المقدسة ضمن دائرة الإيمان. ومن أبرز اللاهوتيين المسيحيين الذين ساهموا في تأسيس وتطوير اللاهوت المسيحي ووضع مبادئه وركائزه نجد كلمنت الإسكندري Clement of Alexandria، ولذا سنعرض لتمثلات اللاهوت في فكره مع التركيز على أهم العناصر التي أصبحت فيما بعد قواعد تم الاعتماد عليها داخل مدرسة الإسكندرية اللاهوتية.

---

[1]– مشير باسيل عون: الفكر العربي الديني المسيحي، المرجع السابق، ص 14.

[2]– جيمس أنس: علم اللاهوت النظامي، مراجعة: منيس عبد النور، د ط (د د ن، د س ن) ص 17.

[3]– كريس هورنر وإمريس ويستاكوت: التفكير فلسفيا، تر: ليلى الطويل، د ط (منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب، دمشق، 2011) ص 358.

[4]– توماس ف. تورانس: الإيمان بالثالوث، تر: عماد موريس إسكندر، ط1(مكتبة باناريون، 2007م) ص 57.

[5]– فالتر كاسبر: اللاهوت والكنيسة، تر: يوحنا منصور، ط1(منشورات المكتبة البولسية، بيروت–لبنان، 2006) ص13.

[6] - James Hastings: Encyclopedia of Religion and Ethics, p. 293

2-اللاّهوت في فكر كلمنت Clement *:

يعد كلمنت Clement أول كاتب مسيحي بدأ الكلام في اللاهوت على وجه الإطلاق وذلك من خلال شرح العقيدة المسيحية في الكنيسة الجامعة؛ حيث وضع منهجا متكاملا عن المعرفة المسيحية وعلاقتها بالإيمان والسلوك. ويمكن اعتبار كتاباته في هذا المجال بمثابة أطروحات منهجية، تكشف عن معرفته الكبيرة بكل من الأدب الكلاسيكي اليوناني والكتاب المقدس.

والمتتبع لكتاباته يجد أنه لا يتردد في استخدام كلمة «اللاهوت_ ثيولوجيا» في معناها الواسع المعروف لدى الوثنيين، أي معرفة الله، والسبب راجع بالنسبة له إلى أن المسيحية تعلم بأن اللوغوس أو الكلمة « هو النور الذي يضيء لكل انسان آت إلى العالم » يوحنا 1:9، وهو يعمل في كل الخليقة والبشر؛ وهذا ما جعله ينظر إلى شعراء وفلاسفة الوثنية بأنهم كانوا خطوة أساسية في تقدم الإنسانية في معرفة الله[1].

انطلاقا من هذا نجد أنه كان يعترف بنوعين من اللاهوت:« لاهوت الأوثان » و«اللاهوت الحقيقي». ويقع لاهوت الأوثان بين نقيضين، الإلحاد والخرافة، فالإلحاد هو الجهل بالله الحقيقي، والخرافة هي توقير الآلهة الزائفة بدلا من الله الواحد. فالملحد ينفي وجود الإله، والشخص الذي يتبع الخرافات السخيفة يقدس الكثير من الأشياء باعتبارها آلهة: كالخشب، الشمس، الحجارة، والروح. ومن هنا قام بتصنيف سبع أنواع للاهوت الصنميات تنحدر في معظمها من الاعتقادات الوثنية والنظريات الفلسفية التي كانت سببا في سقوط الإنسان من السماء إلى الهاوية.[2]

أما اللاهوت الحقيقي الذي هو لاهوت اللوغوس أو الابن فيأتي من الله مباشرة، واعتمادا على هذا وضع كلمنت Clement نظاما لاهوتيا كاملا ينطلق من نظرته الثيولوجية «للكلمة اللوغوس» ، وهذه الفكرة سيطرت تقريبا على كامل تفكيره وتنضح بها كل كتاباته، بل وتعتبر الأساس الثابت وحجر الزاوية الذي بنى عليه كل كلامه عن «المعرفة الحقيقية» ومقارناته بين المسيحية والفلسفة اليونانية[3]

---

* **تيتوس فلافيوس كليمنس (150/220م)**: (والد الفلسفة المسيحية الاسكندرية) ذو أصل يوناني ولد سنة 150.م، كان متمكنا منذ صغره في جميع فروع الأدب الإغريقي الكلاسيكي. اعتنق المسيحية عند سن البلوغ، وبعد أن كبر تولى منصب قسيس في كنيسة الإسكندرية وخلال العام 89.م أصبح رئيسا للمدرسة عمل جاهدا لمدة 12 عاما لتحويل الوثنيين وتعليم المسيحيين، وكتب العديد من الأطروحات التي احتوت على مقتطفات كثيرة اللاهوتية الكنسية بالإسكندرية. من أقوال الفلاسفة اليونان وأشهرها (ستروماتا – المتفرقات) التي كانت مفتقرة للوضوح والثبات ومليئة بالتكرار، ومن بين أعماله التفسيرية نجد أطروحته المثيرة للجدل (نبوءة ضد المونتانيين) وأخرى على الفصح؛ توفي سنة 220.م. للمزيد من التفاصيل حول حياته أنظر: Philip Schaff: History of the Christian Church, Anti-Nicene Christianity. A.D.100-325 (Grand Rapids, MI, 1882) V II, pp. 486-488.

[1]- جورج حبيب بباوي: المدخل الى اللاهوت الأرثذوكسي، المرجع السابق، ص 50.

[2]- اللاهوت في فكر القديس اكليمندس السكندري: https://www.difa3iat.com/10144.html 03 جويلية 2019، 25: 21.

[3]- مارك فيليبس: الغنوصية المسيحية في فكر اكليمندس الاسكندري، د ط (د د ن، 2011) ص10.

وعليه يمكن تحديد عناصر اللاهوت في فكره على النحو الآتي:

_اللوغوس* الإلهي: بداية كل شيء

استخدم كلمنت Clement مذهب «اللوغوس Logos » اعتمادا على الرواقية أكثر منها على المدرسة الأفلاطونية خاصة عندما ذهب إلى القول بأن الله كامن وراء الأعداد[1]، كما أنه متسامي ولا يمكن الحديث عنه، فهو بلا شكل ولا اسم وكل ما لقب به من أسماء يبقى قاصرا عن وصفه باعتباره السرمدي، وهذه الأسماء أعطيت لنا من أجل قصورنا حتى نتمكن من إدراك سلطان قدرته. الله فوق كل لغة، لهذا إنما نتحدث عنه من خلال الرموز، ولا يمكن معرفة الله من دون عمل نعمته، فالمعرفة هبة إلهية فوق حدود الفكر المنطقي، والله الغير معروف تتجلى معرفته من خلال اللوغوس، فمن يرفض نعمة الله ويتجاهل اللوغوس يبقى الله بالنسبة له غير معروف[2].

واللوغوس هو الوسيط لكل شيء يصبح "الله" متجليا فيه، ومن ثم كان هو الدليل لكل الرجال الطيبين وسببا لكل الأفكار الصحيحة والصالحة، وحضوره ضروري لتلقي المعرفة الغنوصية، ولعل ما يجعل منه العقل الإلهي الذي يحتوي على أفكار الله هو أنه يتعلق بوظيفة الابن وأيضا بعلاقته بالآب. ومن هنا نتبين العلاقة الوطيدة في فكر كلمنت Clement بين المعرفة والإيمان التي أراد من خلالها التأكيد على قضية مفادها أن معرفة الآب لا تتم إلا من خلال الإيمان بالابن الذي كان دوما موجودا مع الآب[3].

وننوه هنا إلى أن كلمنت Clement كثيرا ما يذكر اللوغوس غير أن هذا لا يعني رفضه للمسيح التاريخي، فتجسد المسيح في نظره هو العامل الأساسي للمعرفة وخلاص الانسان[4]. هذا الخلاص الذي لا يتأتى إلا عن طريق اللوغوس باعتباره المرشد الإلهي، الذي استحق أن ينال لقب " المربي أو المعلم "، وهذا المربي عملي وليس نظري إذ أنه يهدف إلى الرقي بالروح،

---

* هو لفظ يوناني معناه الكلمة أو العقل أو القانون. وله استعمالات شتّى في المجال الفلسفي والديني. ويعدّ هيرقليطس أوّل من قال به في معنى القانون الكلّي المنظّم للكون والأساس الذي به يقع التحوّل أو التغيير في الأشياء .وتبعه في ذلك الرواقيّون باعتباره المبدأ الفعّال في العالم به تشيع الحياة وتنتظم المادة. وعدّه فيلون اليهودي أولى القوى الصادرة عن الله أو المولود الأوّل للإله، وجعله محلّ الصور والنموذج الأوّل لكلّ الأشياء وحصر دوره في الوساطة بين الإنسان وربّه. وفهمه القديس يوحنّا على أنّه المسيح فاستخدمه في معنى الكلمة الخالقة والصورة التي يتجلّى عليها الله. أنظر: مؤمنون بلا حدود للدراسات والأبحاث. https://www.mominoun.com/articles .

[1] _ بول تلش: تاريخ الفكر المسيحي، تر: وهبة طلعت أبو العلا، د ط (مركز جامعة القاهرة للغات والترجمة، 2012) ج1، ص108.

[2] – اللاهوت في فكر القديس اكليمندس السكندري. https://www.difa3iat.com/10144.html

[3] Clement of Alexandria: The Stromata, or Miscellanies (Anti_Nicen Fathers) Vol 5, p. 883.

[4]- Eirini Artemi: Clement's of Alexandria Teaching about the Tradition (2014)) pp. 68-69.

مدربا إياها لتسمو إلى الحياة الفاضلة وليس لمجرد التلقين الذي يكسبها فضيلة ذهنية؛ فالمعلم ينبهنا أولا لاكتساب الخصال والشخصية الطيبة ثم يدفعنا إلى ممارسة واجباتنا فارضا علينا وصاياه الطاهرة[1].

كما فرق كلمنت Clement بين الغنوصية الفلسفية وبين عقيدة الكريستولوجي* وبين أن الجانب الناسوتي من المسيح لا يعد خطيئة أو نقص في جوهره الإلهي، وأكد على أن التزود بالمعارف الفلسفية وتذوق الفضائل المسيحية والالتزام بها هو السبيل للخلاص، والارتقاء إلى السمو الإيماني الذي ندركه عن طريق العرفان الذي يساعد المريد على إدراك أن النفس الإنسانية هي مرآة لله بما اختصها من عقل وإرادة، وأن الله هو الموجود الكامل لأن الكمال لا يكون إلا في واحد يسمو عن أي صفات يمكن أن يخلعها عليه البشر وهذه العقيدة الايمانية لها أصول فلسفية عند أفلاطون وفيلو Philo، ذلك أن الإله عندهما هو الواحد والخير والبسيط والموجود بذاته والمتفرد في صفاته[2].

إن اللوغوس في نظر كلمنت Clement يعمل في عقول جميع البشر باعتباره التجلي الذاتي للإله، فهو الذي أمد اليهود بالشريعة، وأمد الإغريق بفلسفتهم، وأمد سائر الأمم بطريقة ما، وهو لا يغيب أبدا عن الناس. ولهذا فقد كان هدفه هو العيش طبقا «للوغوس»، العيش حياة لوغوسية، وذلك يعني المشاركة في مجال الايمان والحياة داخل الكنيسة، بمعنى أن حالة الايمان ليست كافية طالما يراد منها مجرد التصديق والطاعة. والمشاركة الحقيقية تقتضي ما هو أكثر من ذلك، إنها تقتضي الدافع نحو المعرفة أو «الغنوص» فالمسيحي هو الغنوص الكامل، و «الغنوص» هو الإيمان الذي يطور محتوياته معرفيا. إنه تفسير علمي لتقاليد الإيمان والخير الأسمى بالنسبة لهؤلاء الغنوص المتمتعين بالكمال يتمثل في معرفة " الله". هذه المعرفة ليست معرفة نظرية بلغة البراهين والتحليلات، وإنما هي مشاركة في "الله" ومعرفة صوفية أو تشاركية، إنها ليست غنوص خاص بالتأمل الحر وإنما هي غنوص خاص بالمشاركة في الطائفة المسيحية وفي "الله"، والتراث أو العرف يظل هو القانون، أو المعيار، والكنيسة هي الأم التي من دونها يستحيل تحقيق الغنوص[3]. ومن هنا تبرز العلاقة الوطيدة في فكره بين المعرفة والإيمان، وتظهر طبيعة العلاقة التي كانت تربط الخطاب المسيحي خلال القرون الخمسة الأولى بالأبنية الثقافية المختلفة التي أثرت بشكل مباشر في مضمونه العقدي والفلسفي، ويتضح مما سبق أن كلمنت Clement عمد إلى عدة أنساق ثقافية منها الفلسفي والصوفي ليشرح فكرته عن اللوغوس وعمله في الخليقة وطبيعة المعرفة التي يجب أن يتشربها المسيحي ليصل إلى الخلاص.

---

[1]– اكليمندس الاسكندري: المربي، ط1(فيلو باترون، 1994) ص 12.

* التعليم حول شخص المسيح.

[2]_ عصمت نصار: فلسفة اللاهوت المسيحي، ط1(دار الهداية، 2008)، ص ص 180_181

[3]_ بول تلش: تاريخ الفكر المسيحي، المرجع السابق، ص ص 108_109

_المنهج الرمزي في التفسير*:

إن التعليم عند كلمنت Clement يعتبر الوسيلة الأفضل لمعرفة جوهر اللوغوس، وهذه المعرفة تنتج عن طريق فهم الكثير من نصوص الكتاب المقدس بشكل أفضل وشرح معانيها باستعمال الطريقة الرمزية التي تأثر بها من الفلسفة اليونانية الكلاسيكية ولعل تفضيله للسر كان من أجل تعزيز النخبوية والفهم الأكثر نضجا للمعرفة الدينية[1].

وصميم نظريته حول الرمزية مستوحى من فكرته عن الأشياء الخفية وراء الحقيقة والواقع، واستخدامه للرمز يتجلى في عدة أجزاء من كتاباته، ويرتبط مفهومه حول الرمزية ارتباطا وثيقا بالغموض وطرق التعبير الرمزية، لأن أهم أجزاء الحقيقة مخفية في اعتقاده، بحيث يتوزع جزء منها في فحوى التعليم الشفوي وشقها الآخر نجده في ثنايا الكتابات التي تحتاج هي الأخرى إلى تفسير، كما يرى أن الرمز والغموض يكتنف كل شيء تقريبا فالطبيعة والفلسفة واللغة والشعر والثقافة والمسرح كلها تحوي عناصر رمزية، ولعل اعتماده على النظرية الرمزية في التفسير كان سببه هو المشكلة التي واجهها المسيحيون ذوي الفكر الأفلاطوني خاصة في مسألة التوفيق بين الله المتعالي وتجليه بشكل معقول، وتفسير نظرية العلاقة بين الواقع الإلهي والمفاهيم التي يتم تقديمها لفهم هذه الحقيقة[2]. أما الكتاب المقدس بالنسبة له فهو بمثابة أداة تعليمية في يد الله لتعليم الناس طرقه، والروح القدس هو مؤلفه وقد كتبه بغرض تلقين الحقائق وتثبيتها في قلوب وعقول الرجال والنساء[3].

_ التوفيق بين اللاهوت والفلسفة:

يعد كلمنت Clement من أوائل المفكرين المسيحيين الذين حاولوا التوفيق بين الفلسفة واللاهوت متأثرا في ذلك بفيلو Philo هذا الأخير الذي كان أول من أرسى قواعد التوفيق بين المنقول والمعقول أو الدين والفلسفة[4]، ومن هذا المبدأ بالتحديد حاول كلمنت Clement صياغة اللاهوت المسيحي في نسق فلسفي ينطلق من قاعدة " أؤمن كي أعقل " ورد كل القيم الروحية والفلسفية إلى المسيحية التي تعد في رأيه تتويجا لكل الاجتهادات العقلية السابقة عليها. ولعل هذا ما يجعل الفلسفة في نظره أيضا كلام الله، ومن ثم لا ينبغي علينا إهمالها أو معاداتها، وكان يعتبر أن الصراع القائم بين الكنيسة والفلسفة هو صراع مفتعل يرجع إلى خوف الطفل من القناع، وتكشف هذه الأقوال عن ريادته في وضع المعايير الفلسفية

* للمزيد من التفصيل حول المنهج الرمزي في التفسير يرجى الرجوع إلى مقالي: الرمزية والمثالية في مدرسة الإسكندرية اللاهوتية، مجلة دار المشرق_ بيروت، الجزء الأول، السنة 92، كانون الثاني/ حزيران 2018

[1]- Eirini Artemi: Clement's of Alexandria Teaching about the Tradition, P. 67.

[2] -Boniface N. Okafor: The Theory of Knowledge in Clement of Alexandria (Pamplona 1993) PP. 146-147.

[3]- Benna A. Zuiddam: Early Orthodoxy: The Scriptures in Clement of Alexandria (North West University) P 307.

[4]_ عصمت نصار: فلسفة اللاهوت المسيحي، المرجع السابق، ص 169.

للخطاب اللاهوتي التي تظهر في قدرته على التمييز بين الخطاب الوعظي الموجه للعامة والخطاب الرمزي العقلاني الموجه للخاصة[1].

ومن هذا المنطلق استمد موقفه الإيجابي من الفلسفة؛ حيث كان يرى أن الفلسفة والدين لا يتضادان وإنما يتفقان، وربما هذا كان أعظم ما أسداه في مجال الأبحاث اللاهوتية، إذ أن الفلسفة بالنسبة له تعد أفضل أداة لفهم الإيمان المسيحي وبخاصة معرفة الله، ولذلك فإن نجاح المسيحيين في نشر رسالتهم مرهون بعملهم على تفسيرها بأدوات ولغة الوسط الثقافي الذي يعايشونه، الأمر الذي أوجب على المسيحية ارتداء الثوب اليوناني والتكلم بلغة أفلاطون Plato وهوميروس Homer[2].

عمد كلمنت Clement إلى شرح عدم التناقض بين الفلسفة واللاهوت بواسطة "المتوازيات"، وذلك باستخراج المتشابه بين الأساطير اليونانية وقصص العهد القديم، مثل الخلق والسقوط والطوفان وبرج بابل، فشخصية مينوس Menos وسيط الشريعة للكريتيين، يقابلها موسى Musa التوراة بالنسبة لليهود، كما أن أورفيوس Orpheus كان يعزف على القيثارة قبل داود، ورأى في قصة عوليس Ulysses في الأوديسة الذي كان عليه أن يبحر مارا بالجنيات المغنيات تشبيها لرحلة الإيمان، فقال: « تجلس جنيات البحر على الصخور وتغني أغاني العالم حتى تدعوا للمتعة الدنيوية» ولكن المسيحي يجب أن يضل في السفينة التي يقودها «الكلمة» ويربط نفسه كما فعل عوليس Ulysses بالصاري، وهكذا يصل سالما إلى الميناء السماوي[3]. من جانب آخر نجد أن كلمنت Clement كثيرا ما يلمح بإيجابية على وجهة النظر القائلة: بأن الفلسفة اليونانية تعود إلى الملائكة التي أنزلت سفر التكوين الذي كان من المفترض أن تنقل اسراره بأمانة لكن ذلك لم يحدث إذ أنها وصلت بشكل مشوه أو بالأحرى محرف إلى الرجال. كما أنه كان ينجذب بشكل خاص إلى نظرية الاستيلاء التي تذهب إلى أن الفلاسفة اليونانيين قد سرقوا موسى Musa حيث أن الرب قال: « كل الذين جاؤوا قبلي كانوا لصوصا وسارقين». ولهذا خصص مساحة كبيرة لإثبات أولوية موسى Musa بحجة مفادها ان الاغريق قد سرقوا جلّ أفكارهم من العهد القديم[4].

خاتمة:

في الختام يمكن القول أن كلمنت قد أسهم كثيرا في تطور اللاهوت المسيحي؛ حيث كان أول من أعطاه طابعا علميا ومنهجيا، وتم ذلك بالاعتماد على الأدوات الفلسفية التي كانت منتشرة في عصره، كما حاول صياغته بطريقة عقلية أساسها هو الإيمان بعمل يسوع الخلاصي الذي يقود الإنسان إلى الشركة مع الله، كما أن الاعلان الحقيقي لله في المسيح

[1]_ المرجع نفسه، ص ص 178_179.

[2]- Danielou & Marrou: The christian centuries " The First six Hundred years " vol. I, p132.

[3]_ H. Leitzmann: A History of The Early Church , Vol II , p. 281.

[4]_ Henry Chadwick & J.E.L. Oulton : Alexandrian Christianity (Selected Translations of Clement and Origen), Introduction (SCM Press, 1954) P. 20_21

ليس مجرد تقديم للمعرفة، وإنما هو تطوير في الأساس للحياة الانسانية نفسها. والفلسفة في نظره انما وجدت لتكون خادمة للاهوت وأداة لتطويره وسلاحا حارسا للمؤمن ليتمكن من تحقيق أهدافه. وتجدر الإشارة بأن هذه الرؤى اللاهوتية قد تأثر بها كثيرا تلميذه أوريجن Origen وعمل على تطويرها، وجعلها بمثابة ركائز ثيولوجية اعتمدها فيما بعد الكثير من الآباء المسيحيين؛ خاصة خلال القرن الرابع بعدما شرعت الكنيسة في صياغة وتقنين العقيدة اللاهوتية المسيحية في مجمع نيقية Nicaea 325م.

قائمة المصادر والمراجع:

باللغة العربية والمعربة:

1. اكليمندس الاسكندري: المربي، ط1(فيلو باترون، 1994)
2. بول تلش: تاريخ الفكر المسيحي، تر: وهبة طلعت أبو العلا، د ط (مركز جامعة القاهرة للغات والترجمة، 2012) ج1.
3. توماس ف. تورانس: الإيمان بالثالوث، تر: عماد موريس إسكندر، ط1(مكتبة باناريون، 2007م)
4. جورج حبيب بباوي: المدخل إلى اللاهوت الأرثوذكسي، د ط(ددن، 2012)
5. جورج عطية: اللاهوت العقائدي والمقارن، د ط (الشبكة الأرثذوكسية العربية الأنطاكية، 2003)
6. جيمس أنس: علم اللاهوت النظامي، مراجعة: منيس عبد النور، د ط (د د ن، د س ن)
7. حسن محمود الشافعي: المدخل إلى دراسة علم الكلام، ط2 (إدارة القرآن والعلوم الإسلامية، باكستان، 1422هـ/2001م)
8. عصمت نصار: فلسفة اللاهوت المسيحي، ط1(دار الهداية، 2008)
9. فالتر كاسبر: اللاهوت والكنيسة، تر: يوحنا منصور، ط1(منشورات المكتبة البولسية، بيروت-لبنان، 2006)
10. كريس هورنر: إمريس ويستاكوت: التفكير فلسفيا، تر: ليلى الطويل، د ط (منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب، دمشق، 2011)
11. كيرلس سليم بسترس: مقالات في اللاهوت والحركة المسكونية، المقالة 12، د ط (منشورات المكتبة البولسية، 1997م)
12. اللاهوت في فكر القديس اكليمندس السكندري: https://www.difa3iat.com/10144.html 03 جويلية 2019، 25: 21
13. مارك فيليبس: الغنوصية المسيحية في فكر اكليمندس الاسكندري، د ط (د د ن، 2011)
14. محمد مزوغي: اللاهوت الأرسطي "حقيقة أم وهم"، د ط (دراسات وأبحاث، د س ن)

15. مشير باسل عون: الفكر العربي الديني المسيحي، ط1(دار الطليعة، بيروت-لبنان، 2007)

باللغة الانجليزية:

1. Benna A. Zuiddam: Early Orthodoxy: The Scriptures in Clement of Alexandria (North West University).
2. Boniface N. Okafor: The Theory of Knowledge in Clement of Alexandria (Pamplona 1993).
3. Clement of Alexandria : The Stromata, or Miscellanies (Anti_Nicen Fathers) , vol 5, p. 883.
4. Danielou & Marrou: The christian centuries " The First six Hundred years " (vol. I).
5. Eirini Artemi: Clement's of Alexandria Teaching abaut the Tradition (2014)
6. H. Leitzmann: A History of The Early Cherch (Vol II)
7. Henry Chadwick & J.E.L. Oulton : Alexandrian Christianity (Selected Translations of Clement and Origen), Introduction (SCM Press, 1954)
8. James Hastings: Encyclopedia of Religion and Ethics,vol.12 (New York, Charles's sons, 1921)
9. Philip Schaff: History of the Christian Church, Anti-Nicene Christianity. A.D.100-325 (Grand Rapids, MI , 1882) V II